Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

0.5.3. السرديات ومادة الحكي.

0.1.5.3. لا ريب في أن المتتبع المتمعن، سيتساءل معترضا أو مستفسرا، بقوله: إنك في كل هذه التمفصلات التي حاولت من خلالها، التمييز بين مختلف «حدود» السرديات وموضوعاتها كنت تركز بوجه خاص على «الخطاب»، باعتباره طريقة تقديم المادة الحكائية، أو بصفته النص من جهة أبعاده السياقية أو التفاعلية. لكن «موضوعا» ظل يغيب دائما في مختلف هذه التمفصلات هو «المادة الحكائية». فما موقع المادة الحكائية من هذه التحديدات؟

فعلا. إنني لم أهتم كثيرا بالمادة، أو «القصة»، وحتى في أعمالي السابقة، لم أعالجها إلا ضمن الخطاب أو النص. ولقد استرعى ذلك انتباه الباحث عبد الله إبراهيم في كتابه «المتخيل السردي»[15]. فلاحظ غياب الاهتمام بالقصة أو المتن الحكائي في تحليل الخطاب الروائي، وكذلك في انفتاح النص الروائي.

إن أي باحث يختار زاوية معالجته للموضوع بحسب رؤيته التي تمليها عليه طريقة تناوله للأمور، لقد كان هدفي دائما هو الاشتغال بـ «الخطاب»، ومختلف أبعاده النصية، لأني أعتبره الموئل الأساس لـ «السردية»، بصفتها الخاصية التي تتميز بها الأعمال السردية عن بعضها البعض، وكان هذا الخيار ينبع من طريقتي الخاصة في تناول السرد من خلال نصوص تجريبية، لأن ما كان يشغلني فيها هو المستوى«التعبيري». أما جانب المحتوى فلم يكن يحظى في هذا النوع من النصوص بالقيمة التي نجدها في غيرها. إن النصوص التجريبية هي بأحد المعاني ضد القصة أو المادة الحكائية. وإذا ما اشتغلت بالمادة، فإن ما يحكم هذا الاشتغال سيكون بالضرورة محددا بالخلفية نفسها، ومؤسسا على القاعدة ذاتها: سرديات الخطاب.

لقد تبين لي أن الذين اهتموا بمادة الحكي، كان يشدهم إليها على وجه خاص «المعنى» أو «الدلالة»، باعتبارهما رغم الاختلاف الثابت البنيوي المشترك، أما الاهتمام ب«الخطاب» أو«التعبير»، فلا يمكن أن يذهب بنا إلا إلى معاينة المتحول البنيوي المختلف. وانطلاقا من الاشتغال بأي منهما منفردا أو إلى جانب غيره، وهو في مرتبة ثانية، يمكننا التمييز بين اتجاهات ونظريات السرد.

يستدعي هذا الاختلاف من المشتغل بالسرد، أن يختار زاوية معالجته،